القرآن الكريم وقضية الوحدة

علي الذرحاني

بمناسبة قدوم أو حلول الذكرى الثالثة والعشرون للتوقيع على اتفاقية الوحدة عام1990 م بالتزامن هذا العام والذي قبله بسنوات مع قيام فصائل جنوبية مطالبة بالأنفصال أو فك الارتباط واستعادة الدولة الجنوبية أو الاستقلال بمناسبة قدوم هذان الحدثان يتساءل البعض هل هناك إشارات قرآنية لقضية الوحدة والانفصال تمنح كل طرف من الطرفين الآنف ذكرهما قاعدة شرعية أو تأصيل شرعي لقضيته بحكم القرآن الكريم أو السنة النبوية الصحيحة المطهرة من أهم مراجع ومصادر أي بلد عربي مسلم وحجية القرآن والسنة قوية ومعتمدة لدى كل مسلم وموحد لله الواحد القاهار وبهذا المناسبة أيضاً وكما يقولون فإن الشيء بالشيء يذكر فقد أهداني أحد جيراني الأعزاء العدد« 33 »من مجلة »حراء« التركية وهي مجلة علمية فكرية ثقافية تصدر كل شهرين من اسنطبول نوفمبر - ديسمبر2012 م ومكثت أقلب صفحاتها وأقرأ مقالاتها الشيقة والممتعة والنافعة والمفيدة ولفت انتباهي مقال في نهاية صفحات المجلة يحمل عنوان »نحو تأصيل الفقه الهاروني في قضية الوحدة« للذكتور محمد إقبال عروي وهو أستاذ التعليم العالي بالمغرب قد ركز ذلك الكاتب في مقاله الآنف الذكر على أهمية قراءة القصص القرآني قراءة مغايرة لما هو متعارف عليه في خطاب علماء ومفسري القرآن قديماً وحديثاً بأن القصص القرآني وارداً من أجل العظة والاعتبار بينما يهدي التأمل في طبيعة القصص القرآني وعلاقتها بسياقاتها القريبة والبعيدة داخل السورة وداخل المنظومة الفكرية والحضارية للقرآن الكريم إلى التشريع وتقدم أحكام تفيد في صياغة كليات القوانين والتشريعات التي تهدي حياة الناس و المجتمعات في علاقاتها الفردية والجماعية وينصح الكاتب بإعادة النظر في مفاهيم مثل استنباط الأحكام وآيات الأحكام وأساليب التشريع من قصص القرآن الكريم وألا ينحصر استنباط الأحكام من آيات التشريع فقط المحددة بالأوامر والنواهي.

وأن هناك كثيراً من الأحكام الكلية يمكن استنباطها من القصص القرآني مرتبطة بأمهات القضايا السياسية والدولية ودار مقال الكاتب على نموذج من القصص القرآني وهي قصة النبي والرسول هارون عليه السلام مع آسباط وقبائل بني إسرائيل تلك القصة تقدم مبادئ في التشريع العام للأمة يتمثل في اعتبار التوحيد والوحدة معادلة يتعين رعايتهما وصيانتهما ومن ثم فإن أمر رعاية الوحدة لا يقل وجوباً وأهمية عن مبدأ ر عاية التوحيد الذي قامت عليه السموات والأرض: قال هارون عليه السلام: »إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي«..... إن إيمان هارون عليه السلام بقيمة وحدة قبائل بني إسرائيل لا تقل خطورة وأهمية عن عقيدة التوحيد إذكلاهما معتبر وواجب مع إنكاره ظاهرة الإشراك بالله من قبل بني إسرائيل حين قاموا بعبادة العجل في غياب موسى عليه السلام فقد كان هارون عليه السلام معلق بين معادلة الحرص على توحيد الله جل وعلا بين الحرص على وحدة بني إسرائيل وعلى وحدة الأمة بأكملها في آية أخرى قال الله عز وجل فيها: »وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون« وهي آية واضحة وجلية في ربطها بين توحيد الكلمة وكلمة التوحيد بدلاً من المراوحة والتعلق بواقع الفرقة والمذهبية والطائفية والحزبية والقبلية والجهوية والمناطقية وتنازعها بل والعنصرية البغيضة التي تعمل على ذهاب ريح الأمة وتؤدي إلى فشلها وضعفها وتنازعها والعودة بها إلى زمن التربص والمناورات والتجسس والحروب والصراعات كالذين طلبوا من الله أن يباعد بين أسفارهم من أسلافنا وأجدادنا القداما الذين كانوا بعيدين عن الإيمان بوحدة الصف والكلمة وإصلاح ذات البين وبعيدين عن الإيمان بعقيدة التوحيد أيضاً ولا يؤمنون بالتعاون والتكافل والتعاضد الذي يشبه البنيان المرصوص إن دعـوة الرسل دعوة وحدة بالدرجة الأولى والصبر على كـوارث الشرك والانحرافات العقدية تدريجياً ومما يعطي للفقه الهاروني في مسألة الوحدة بعدها الاستراتيجي أن حركة الأمة في خط تناقضي مع حركة تاريخ الأمم فنحن نشهد يومياً انتشاراً لثقافة الوحدة وقيمها ومصالحها في الدول الغربية مما أوصلهم إلى تكتلات سياسية واقتصادية وحضارية قوية، بينما تزداد الأمة العربية والإسلامية تمزقاً وفرقة وخلافاً ينذر بتفريخ دويلات هنا وهناك، والخطاب اليوم خطاب فرقة وخلاف وتبادل اتهامات وتهميش أصوات الوحدة والتآلف والتقارب وقلما نجد من يرفع شعار الوحدة والاعتصام بل هناك من يرفع شعار »تفرقوا ترزقوا وخالف تعرف تكن لك هوية وخصوصية إن الفقه الهاروني جعل من الوحدة مطلباً شرعياً وضرورة حضارية وجعل من ثقافة الإسلام ثقافة توحيد ووحدة سواء بسواء لولا أخطاء الأنظمة والساسة التي فرقت ومزقت وخلطت الأوراق فالعيب فيهم. وليس في مبدأ الوحدة والاتحاد الذي نادى به الخطاب القرآني والتشريع الإسلامي.

علمـــاء ودعـــاة

الحفاظ على وحدة الوطن واستقراره واجـــ

> لقد كرمنا الله في هذه البلاد الطيبة بنعمة الوحدة حين أراد بمشيئته أن يندمج شطراها في إطار دولة واحدة هي الجمهورية اليمنية يوم الـ 22من مايو1990 م.

اليوم وشعبنا يحتفل بمرور 23 عاماً على قيام الوحدة المباركة التي باتت تتعرض للكثير من محاولات التمزيق والتشتيت والعودة بالوطن إلى عهود التشطير البائسة.. يحق لنا أن نتساءل عن دور العلماء في الحفاظ على هذه الوحدة المباركة وما هو ردهم على من يسعون للنيل منها بدعوى المناطقية والعنصرية وأنها الوحدة لم تحقق طموحات الناس بحفظ الضرورات الخمس التي أمر بها الاسلام وهي النفس والمال والعرض، فيما يقلل آخرون من شأنها بدعوى أنها لم تقم على أسس راسخة.. في الاستطلاع التالي التقينا عدداً من علمائنا الأجلاء فإلى الحصيلة:

استطلاع | وليـد المشيرعـي
أسماء حيدر البزاز/ أمين العبيدي

في البداية تحدث العلامة الحبيب مورداً قول الحق تبارك وتعالى في كتابه الكريم قال تعالى :{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا } وقال عز وجل: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ } وقولهً تعالى :{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } كل تلك الأيات تبين وتؤكد أن الوحدة واجب ديني ووطني لا ينبغيَ التفريط فيه تحت أي دعوة أو ظرف من الظروف خاصة في الظرف الراهن من قبل اولئك الذين يسعون إلى طمس معالم هذه الوحدة في نفوس شبابنا وأجيالنا ومن قبل أولئك الذين يسعون إلى زعزعة الأمن والاستقرار وإقلاق السكينة العامة والتفرقة بين أبناء المجتمع الواحد والتي تسعى أخذ بغيتها عن طريق التفرقة السياسية والاجتماعية والطائفية والحزبية , وعلينا أن نقف صفا واحداً وسدا منيعا بوجه من يسعى لبث سموم أفكاره المزعزعة لوحدتنا المباركة.

نحميها بالعدل والمساواة

العلامة خضير بن عبد الملك يقول: للأسف الشديد نجد أن هناك العديد من الذين يتحدثون عن الوحدة وأهدافها والنصر العظيم الذي تحقق لليمن إزاءها من منجزات وخيرات لا يملكون غير تلك الشعارات التي يرضونها لمصالحهم الشخصية الضيقة وبهذا يكونوا قد اساءوا لهذا النصر ونفروا الناس من هذا المنجز التاريخي الديني والوطني

وأشار إلى إن الحفاظ على الوحدة لا يكمن في الخطب والشعارات والمحاضرات بل هناك عوامل وقواعد لإرساء دعائمها تتمثل في بعدم المتاجرة بالوحدة لحساب اشخاص او جهات او جماعات فهي ترتكز في بقائها على العدل والمساواة والأمن واستقلالية والسلطات ونزاهة القضاء وتوطيد أواصر الاخلاق الاسلامية في صفوف المجتمع وتكافؤ الفرص بين المواطنين

أسس ثابته..

فضيلة الشيخ حسن عبدالله الشيخ وكيل وزارة الأوقاف والإرشاد لقطاع مدارس تحفيظ القرآن الكريم أشار بقوله:

من المسلمات اليقينية لدى الأمة الإسلامية جمعاء أن الوحدة هي الركيزة الأساسية لبقائها.. إذ أنها ليست مجرد نافلة من الأقوال أو الأعمال بل هي منهج قرآني ومسلك نبوي..

وهذه المسلمة تقوم على أسس وثوابت لا تتغير بتغير الزمان أو تغير الأحوال.. فهذه الأمة قد جمع الله شملها على عبادة إله واحد واتباع نبي واحد واتخاذ منهج واحد هو القرآن الكريم.. ولذلك لا يسعها - الأمة - إلا أن تكون أمة واحدة في أهدافها وتصوراتها وتوجهاتها وإن كان هناك فجوات حصلت في دولة الإسلام الواحدة خلال تاريخها فإنها تظل خارجة عن إطار الأصل الذي يجب أن تكون عليه الأمة.. وقد قال رب العزة "وإن هذه أمتكم أمة واحدة".

كما بين نبينا عليه صلوات الله وسلامه أن هذه الأمة جسد واحد حين قال "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".

وعندما ننظر إلى واقع الأمم في عصرنا نجد أنها تستمد قوتها من وحدتها مهما تباينت دياناتها وثقافاتها ولغاتها وأجناسها.. بعد أن وجد أبناؤها أن الوحدة بينهم تجعل لهم كلمة عالية وقوية تفرض نفسها على مجريات الأحداث في العالم.

> **المشكلات والمظالم ينبغي حلها بالحوار وإرساء العدل وليس بالنيل من وحدة اليمنيين**

الإيمان والحكمة

وعن وحدة اليمنيين قال الشيخ: بالنسبة لليمن فهي البلد الذي نعيش فيه والذي وصف أبناؤه بالإيمان والحكمة ورقة القلوب ولين الطباع، هذا البلد نشأ على الإسلام منذ صدر الدعوة ولم يجلب عليه بالجيوش.. فاستمسك بهذا الدين على مدى التاريخ.

وبلا شك فإن هذا البلد تكمن عزته وكرامته في وحدته وتماسك أبنائه وإلا فإنه سيكون عرضة للنيل من أرضه ومقدراته ومن عزته وكرامته.

دعوات الفرقة باطلة

وعن الدعوات التي تسعى للنيل من وحدة الوطن قال الشيخ: - عندما نسمع الدعوات التي تروج للفرقة والتشتيت فإن هذه الدعوات لا تنسجم مع مقررات القرآن الكريم ولا السنة المطهرة بل ولا مع مقررات الواقع وحتى لو شاب الوحدة بعض الاختلالات فإننا لا نحمل منهج الوحدة الذي أرساه ديننا الحنيف مسئولية ما يقترفه البشر من أخطاء مثلما لا نحمل الدين وزر من أخطأ من المسلمين ولا قرية مسئولية من أخطأ من أهلها.

فما بالنا نحمل وحدة هذا البلد تبعات اختلاف سياسي وفرقة ماضية بين الشمال والجنوب فتلك الفرقة لم يكن منشأها رغبة أبناء الشطرين بل كانت الظروف السياسية لفترة من الزمن فرضت واقع التشطير آنذاك بسبب الاستعمار الذي فرض التشتت على أمتنا الإسلامية بأسرها.

وعلينا بدلاً عن ذلك أن نعمل على لم الشمل وتوحيد الصف وجمع الكلمة بيننا في كيان واحد هو اليمن وصولاً إلى التلاحم بين كافة دول وبلدان عالمنا العربي والإسلامي ونكون قوة ذات فاعلية وقدرة مؤثرة.

فنحن لا تنقصنا الثروة ولا القيم ولا المبادئ وإنما نحن بحاجة إلى الإرادة والهمة والعزيمة الكافية لتحقيق الأهداف العالية التي نطمح لها.

واختتم بقوله: علينا في اليمن أن تتوجه كل جهودنا الأمنية والاقتصادية والسيايسة والعلمية والاجتماعية والثقافية نحو إرساء قواعد العدل والحق والصدق والأمن والاستقرار والطمأنينة وأن نوصل الحقوق لأهلها ونبتعد عن كل المؤثرات التي ألقت بظلالها السلبية على واقعنا في الفترة السابقة وذلك حتى ننطلق برؤية واضحة ومتفائلة نحو المستقبل الأفضل.. وبلا شك فإن السبيل الوحيد لتحقيق ذلك هو الحوار والتلاقي وتعزيز الثقة فيما بيننا.. والله الموفق.

الجماعة رحمة

فضيلة الشيخ الدكتور حمود محمد السعيد وكيل وزارة الأوقاف والإرشاد المساعد لقطاع الإرشـاد تحدث مؤكداً على أن الوحدة مطلب شرعي واجتماعي وضرورة من الضرورات للمجتمعات الإسلامية..

وقال: أمر بها الخالق جل وعلا في محكم كتابه العزيز في قولة تعالى "وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون".

وفي قوله تعالى "واعتصموا ..."

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول " عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة" وقال أيضا "الجماعة رحمة والفرقة عذاب"، ولذلك فإن الوحدة مطلب شرعي حث عليه الإسلام وكذلك فإن الضرورة تتطلب منا الوحدة والاتحاد.

ويعود الشيخ السعيدي إلى تاريخنا الإسلامي وما كانت عليه الأمة مقارنة بوضعها الحالي فيقول: حين نستعرض واقعنا في ظل حالة التشرذم وما كنا عليه كأمة إسلامية واحدة منذ الخلافة الراشدة وحتى الخلافة العثمانية نجد أننا حين كنا أمة واحدة كان لنا شأن بفضل الوحدة.. ونتذكر كيف كان هرون الرشيد حين يرى سحابة يقول مخاطباً إياها: أمطري حيث شئت فإن إلى خراجك.

ونتذكر كيف كانت الأمم والشعوب الأخرى نستمد من الدولة الإسلامية المدد والدعم والمناصرة حيث تغلب على أمرها.. ولذلك فقد عمل أعداء هذا الأمة على هدم وحدتها أولاً وتمزيقها دولاً متنازعة على الحدود المصطنعة التي رسمتها اتفاقية "سايكس - بيكو" سيئة الصيت مطلع القرن الماضي.. وهكذا تمكنوا من السيطرة على مقدراتنا واضعاف شأننا وعلى ما نحن فيه من التشرذم والنزاع بل والصراع.

فيما أن الآخرين يسعون إلى التوحد في تكتلات واتحادات تحقق لدولهم وشعوبهم القوة وعوامل الازدهار.

ويؤكد الدكتور السعيدي أن أهمية الوحدة تتجلى في دلالات الحرص عليها من غير بين البشر ويقول: ومثالاً على ما توفره الوحدة من منعة ليس لبني البشر وحسب بل وللحيوانات.. حيث تسير في قطيع واحد ولا يقوى عليها أحد من الوحوش الكاسرة إلا ما شرد منها وخرج عن القطيع.. وقد قيل الذئب لا يأكل من الغنم إلا القاصية.

وأيضا هو حال الطيور والأسماك.. التي تهاجر في أسراب كثيفة وتحيا كذلك إلا في ما ندر.

قوة وعصمة

وبالنسبة لنا نحن اليمنيين الذين اكرمنا الله جل وعلا بالوحدة المباركة - يقول الدكتور السعيدي- كلنا يعلم أن الوحدة قوة وعصمة وعزة وحماية من الهلاك ومن الدمار وأن وحدتنا حتمية فأصلنا وتاريخنا ونسبنا واحد وديننا واحد ولساننا واحد وأيضاً أرضنا وحضارتنا واحدة.. وبلا شك فإن أي داع للتمزق وتفريق الصف في يمن الإيمان والحكمة سيبوء بالفشل والخيبة. ذلك لأنه يعاكس سنة الله في خلقة بمحاولته النكوص على عقبيه والبطر بنعمة الوحدة التي نهضت بفضلها البلاد وأنهت عهوداً من التشطير ما كان فيها لليمن صوت ولا شأن بين العالمين.

ويختتم السعيدي حديثه عن الوحدة قائلاً:

لأولئك القلة الذين يريدون لوطننا التشرذم والانقسام نقول نحن لسنا معكم نحن مع الإسلام الذي أمرنا بالتآخي وحثنا نبيه على الوحدة وأمرنا بلزوم الجماعة.. وشعبنا من أقصاه إلى أقصاه لن يرتضي عن الوحدة بديلاً.

فأسال الله أن يرزقنا وإياهم السداد والتوفيق لكل ما فيه صالح هذا الوطن إنه سميع مجيب.

ثمرة نضال طويل

فضيلة الشيخ يحيى النجار وكيل وزارة الأوقاف السابق ورئس مؤسسة الإرشـاد الاجتماعي تحدث عن هذه المحاور بقوله: الحمد لله القائل "واعتصموا بحبل الله....".

والصلاة على نبيه الكريم القائل "كونوا عباد الله إخوانا وبعد فإن الوحدة اليمنية المباركة لم تأت من فراغ أو بقراءة الفاتحة وإنما جاءت بعد نضال طويل ومخاضات كبيرة ومفاوضات متواصلة منذ السبيعينيات من القرن الماضي وحتى يوم 30 نوفمبر1989 م حين تم التوقيع على اتفاقية الوحدة وإعلانها رسمياً يوم 22 مايو1990 م.

ولذلك نقول لمن يدعي أن الوحدة لم تكن مبنية على أسس قوية أو أنها جاءت عفوية وبشكل متعجل نقول له أن التاريخ خير شاهد على مكانة هذه الوحدة وأنها موجودة قبل ذلك التاريخ بين أبناء الشعب اليمني كافة الذين اتحدوا صفاً واحداً في الدفاع عن ثورتهم الأم 26 سبتمبر1962 م ضد من كان يتربص بها في شمال الوطن.

واجب شرعي وديني وإنساني استناداً إلى كتاب الله الكريم وسنة نبيه الأكرم عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم وبإجماع أئمة المسلمين وكذلك فإن العمل لتمزيقها تحت أي مبرر محرم، شرعاً فالله جل وعلا قد توعد في الكثير من آيات القرآن الكريم الذين يمزقون الصفوف ويسعون لتشتيت المسلمين بالعذاب والخزي في الدنيا والآخرة.

دور العلماء

وعن دور العلماء في التوعية بهذه الجوانب يقول النجار: إن من واجب العلماء أن يدعو الناس لمّ الشمل والاتحاد والتلاحم وحثهم على الحفاظ على وحدة وطنهم والعمل لكل ما فيه مصلحة استقراره وأمنه وازدهاره.

أما أولئك العلماء وهم قلة قليلة الذين اختاروا خدمة أهداف سياسية وأغراض حزبية وقالوا بإباحة هدم الوحدة اليمنية المباركة فإنهم مسئولون أمام الله عن العواقب الوخيمة التي ستترتب على أي مساس بالوحدة لا قدر الله.. وسيدفعون ثمن ارتهانهم ذاك يوم لا ينفع مال ولا بنون.. باعتبارهم قد خانوا كما تلاحمت قلوبهم وأصواتهم واكتافهم في مواجهة قوى الاستعمار البريطاني وحلفائه في الجنوب سواء في المظاهرات أو معارك الكفاح المسلح.

ويضيف:

الوحدة أعلنت بين نظامين سياسيين لكنها كانت قائمة عبر التاريخ بين أبناء شعبنا اليمني شعب الإيمان والحكمة والذين كانوا حملة رسالة التوحيد والوحدة التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف ونشروها في أصقاع الأرض.. وقدموا في هذا العصر أروع المثال لكل العالم الإسلامي بتحقيق وحدتهم الكاملة التي استبشر بها الجميع الخير كخطوة أولى على درب الوحدة والتلاحم العربي والإسلامي.

صمام الأمان

وحول أهمية الحفاظ على الوحدة يقول الشيخ النجار: إن الوحدة اليمنية المباركة هي صمام الأمان لهذا الوطن وبدونها لا قدر الله سيكون الصراع والاقتتال هو السائد بين اليمنيين ولذلك فإن الحفاظ على هذه الوحدة أمانة العلم ورسالته التي شرفهم الله بها ولم يدعوا للحق وإنما هم دعاة للباطل وهم كما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم "دعاة على أبواب جهنم".

الجماعة نجاة

وأما العلامة هيثم الحداد : فقد استهل حديثه موردا بقوله تعالى : (يَـٰٓأَيُّهَا ?لَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَ?ثْبُتُواْ وَ?ذْكُـرُواْ ?للَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُواْ ?للَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَ?صْبِرُوٓاْ إِنَّ ?للَّهَ مَعَ ?لصَّـٰبِرِينَ) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا،